**الآثار المترتبة على اكتشاف النفط في المملكة العربية السعودية**

لعل من أكثر الأمثلة وضوحاً على سرعة وحجم التغير في التنمية الناتجة عن اكتشاف النفط هو أن الملك عبد العزيز حين زار مرافق النفط للمرة الأولى في عام 1359هـ/ 1939م بمناسبة تصدير أول شحنة من النفط السعودي من ميناء رأس تنورة لم يكن هناك مقراً مناسباً لاستضافته هو ومرافقيه، فاضطر لإقامة مخيم كبير، وبعد ثمان سنوات فقط -أي في عام 1367هـ/ 1947م- زار الملك عبد العزيز آبار النفط مجدداً، ولكنه هذه المرة وصل جواً، وهبط في مطار الظهران الذي كان قد أنشئ حديثاً، وبالطبع لم يكن توفير سكن للملك يمثل أي صعوبة هذه المرة، وقد سر الملك عبد العزيز لما رأى من تغير عمراني وتنموي كبير أنجز خلال وقت قصير، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن لاكتشاف النفط في المملكة أثر واضح جداً على التنمية والبنية التحتية.

كما نتج عن مد خط الأنابيب عبر البلاد العربية (التابلاين) قيام مدن ومراكز سكانية جديدة. وقد ساعد على سرعة نمو تلك المدن إلزام الحكومة لشركة التابلاين بموجب الاتفاقية الموقعة في عام 1366هـ/ 1947م بتوفير المياه والمستشفيات والسكن والطرق للعاملين والقاطنين والعابرين في المنطقة. كما التزمت الشركة بإنشاء مبان للإدارات الحكومية الموجودة في محطات الضخ الرئيسية.

ومن أهم المدن التي نشأت ونمت نتيجة لمرور خط الأنابيب وإنشاء مرافقه المساندة، مدن القيصومة ورفحاء وعرعر وطريف، وقد اختيرت عرعر لتكون المقر الإداري للمنطقة الشمالية. كما ساعد إنشاء الطريق الممهد المحاذي لخط أنابيب النفط على إنعاش الحركة الاقتصادية للمنطقة، وربط مدن شرق المملكة بكل من الأردن وسوريا والعراق وإمارات الخليج العربي.

لعل من أهم الآثار الاجتماعية لاكتشاف النفط في المملكة العربية السعودية توطين البدو. فمعظم الذين جاءوا للعمل في الصناعة النفطية كانوا من البادية الذين جلبهم الإغراء المادي في البداية، فأحسوا بمزايا العمل والاستقرار، ثم انتهى بهم المطاف بأن جلبوا أسرهم وأسسوا مساكن مؤقتة من الأخشاب قرب أماكن عملهم في حقول النفط. أصبحت هذه المساكن المؤقتة نواة لمدن جديدة أسست في المنطقة، مثل: بقيق والثقبة.

كما أحدث مشروع مد خط الأنابيب عبر البلاد العربية (التابلاين) -الذي أنجز في عام 1368هـ/ 1949م- تغييرات جذرية في طبيعة الاستقرار والتوزيع السكاني في المنطقة التي اخترقها خط الأنابيب. فرغم أن هذه الأنابيب قد مُدّت شبه خالية من القرى، إلا أن محطات الضخ التي أنشئت على طول خط الأنابيب قد تحولت إلى مدن ومراكز سكانية جديدة، حيث جذبت أعداداً كبيرة من سكان تلك المناطق من البدو من خلال توفير فرص العمل. كما أن مشاريع حفر آبار المياه التي أنجزت بالقرب من محطات الضخ من أجل توفير المياه للسكان والماشية قد شجعت على توافد البادية إلى تلك المراكز والإقامة حولها.

ولعل أهم ما ميز عملية توطين البدو سواءً بالقرب من حقول النفط في المنطقة الشرقية أو محطات الضخ الممتدة على امتداد خط الأنابيب هو أن هؤلاء المستقرين لم يكونوا ينتمون إلى قبيلة واحدة أو منطقة معينة، وإنما كانوا خليطاً من سكان هذه البلاد، انصهروا في بوتقة واحدة، وكونوا وحدات اجتماعية متناسقة.

وقد كان لاكتشاف النفط أثراً عكسياً على الاقتصاد الزراعي، حيث فاقت السلبيات التي تعرض لها هذا القطاع إيجابيات عصر النفط المتعددة. ومن أهم هذه الآثار السلبية انتقال العمال الزراعيين إلى العمل في قطاع صناعة النفط بسبب ارتفاع العوائد المادية للعاملين في هذا القطاع، إضافةً إلى الظروف العملية المريحة مقارنةً بالعمل في القطاع الزراعي الذي تبدأ فيه ساعات العمل منذ ما قبل صلاة الفجر إلى ما بعد الظهيرة. أدى هذا التحول إلى انخفاض عدد الأيدي العاملة في القطاع الزراعي، وبالتالي تدهور الإنتاج الزراعي.

وقد بذلت الحكومة جهوداً ملموسة لمساعدة المزارعين وتنشيط القطاع الزراعي، فطلبت من شركة النفط في عام 1368هـ/ 1948م أن تنشئ مشروعاً زراعياً في الهفوف على حساب الحكومة. وقد بدأ المشروع بست حراثات، وكان التركيز فيه على زراعة الخضار، وتزويد المزارعين بالبذور، وإرشادهم إلى الأساليب الأمثل في الزراعة. وقد استفاد القطاع الزراعي من هذه الجهود واستعاد شيئاً من ازدهاره السابق.

ومن الالتزامات التي فرضتها حكومة المملكة العربية السعودية على شركة التابلاين في الاتفاقية الموقعة في عام 1366هـ/ 1947م إنشاء مدارس لتعليم أبناء الموظفين السعوديين والسكان المحليين على أن تدار تلك المدارس من قبل سلطات التعليم السعودية. وقد قامت شركة التابلاين ببناء أربع مدارس في كل من طريف وبدنه ورفحاء والقيصومة.

ومع تطور التعليم وتقدمه في المملكة العربية السعودية، أنشئت كلية متخصصة بكل ما يتصل بالدراسات المتعلقة بالنفط والمعادن في عام 1383هـ، وهذه الكلية هي كلية البترول والمعادن في الظهران. فشُجعت البحوث العلمية، ونُشرت الثقافة النفطية والمعدنية، وخُرِّج المتخصصون في هذه المجالات.

كان لاكتشاف النفط في المملكة العربية السعودية آثاراً حضارية واضحة على المجتمع السعودي. فلعل من أهم الآثار الحضارية لاكتشاف النفط تغير نظرة المجتمع للعمل الصناعي؛ إذ أنه من المعروف عن المجتمع السعودي احتقاره للعمل الصناعي ولمن يعمل في المجال الصناعي. ولكن بعد اكتشاف النفط، وبعد توفر فرص العمل بمرتبات جيدة لدى شركة أرامكو، تسابق الباحثون عن لقمة العيش من البادية والحاضرة للحصول على فرص للعمل في المجال الصناعي. ومع مرور الزمن، أصبحت الوظيفة في شركة أرامكو مدعاة للفخر، واعتبر الموظف في شركة أرامكو من أصحاب الوجاهة والمكانة الاجتماعية. ولأن العمل في مجال الصناعة النفطية قد جذب الموظفين والعاملين من خارج البلاد أيضاً فقد أصبح المجتمع أكثر تنوعاً، ولم يعد السوري أو المصري الذي يلبس بنطالاً ظاهرة شاذة في بلد كان المرء لا يأمن على نفسه فيه إلا بالزي السعودي قبل سنوات قليلة فقط من اكتشاف النفط.

**المراجع:**

هاري فيلبي: مغامرات النفط العربي، ص 222.

عبد الله السبيعي: اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، ص138-141، 163-169، 209-214.

عبد العزيز بن لعبون: توثيق اكتشاف النفط في عهد المؤسس الملك عبد العزيز آل سعود، ص213-216.